

ناصر صباح الأحمد

الشباب الثوري النقي

من تأسيس أول مدينة للمعاقين في دولة

الإمارات إلى رسوم أطفال الكويت في

تخيل القرن الذي أصبحنا نعيش فيه

من حق هذا الجيل أن يتعرف على شباب عشنا معهم عقوداً من الزمن تعرفنا على أفكارهم ، أخلاقهم ، نبلمهم ومن هذه الزاوية أكتب هذه الكلمات ..التقيت معه في سبعينيات القرن الماضي ، لم يكن لقاؤنا عابراً بل كان لقاءً فكرياً وطموحاً وحلم وأمل من أجل ليس الكويت فحسب بل أجزاء من العالم العربي ، كان العالم العربي في وجدانه شأنه شأن شباب ذلك الزمن ..في السودان أنشئ مصنعاً للسكّر كان مفخرة ، في العالم 2002 حدثني طبيبي في لندن عن هذا المصنع دون أن يدري أن من أنشأه هو ناصر صباح الأحمد وقلت له ذلك " كان يحلم وهو في العشرينات من عمره بالتكامل الاقتصادي العربي ..كان يريد أن يحول أحلامه لواقع وجاء الاحتلال ليصدم أحلامنا جميعاً " .

في ذلك الزمن الجميل ، سبعينات القرن الماضي ، كان له الفضل في إنشاء أول مؤسسة للمعاقين تشهدها دولة الإمارات العربية المتحدة ..ومد يده لبناء دار الصم والبكم في دمشق وقد أشترينا لهم مبنى جاهزاً .

في سبعينات ذلك القرن التقينا حول طاولات مستطيلة أو دائرية في مقر جمعية النهضة الأسرية في العدلية كنا نريد أن نعبر بأحلامنا ورؤانا للقرن الحادي والعشرين فطرح ناصر فكره بأن نرى هذا القرن بخيال الأطفال الذين سيكونون هم شباب بداية هذا القرن القادم ، حولنا فكره لواقع ملموس وعممنا الاستثمارات على مدارس الكويت المختلفة الخاصة والعامة فجاءت رسومات الاطفال كما تصورها هو جاءت لتقدم لنا الجسور قبل أن تعرف الكويت جسور الطرق فتحولت هذه الجسور من الرسوم لواقع تبنته وزارة الاشغال ..وقد قرأتم فيما سبق المشروعات التي أشرت إليها .

وفي هذا المكتب الذي كانت السكرتيرة به سيده سودانية فاضلة هي "سهير".

كنت أجلس معه في غرفته كان في الثانية والعشرين من عمره كان يحدثني بثورية نقية كان يقول ما يتردد اليوم ويقال وأسمح لنفسني أن أنشر ما كان يقوله بثورة :

"إن التيار القومي استطاع أن يقدم الجيل الثاني للعمل نحن الأسرة لم نقدم الجيل الثاني ولم ندر به كان يريد بالحاح أن تقدم الأسرة جيلها الثاني ، كنت أستمع إليه وأصمت وأنا مندهشة من فكره".

ملاحظة: كان يومها التيار الوحيد البارز على الساحة هو التيار القومي لم تكن هناك تيارات أخرى تقابله شأن اليوم .

هكذا كانت نظريته البعيدة فلو أنها طبقت في ذلك الزمن لما رأينا الفراغ الحادث ولما استمعنا لهذه الطروحات التي تطرح في الألفية الثالثة إذ إن ناصر صباح الأحمد بوعيه انتبه لهذا الأمر منذ ثلاثين عاماً مضت كان يريد تدريب الجيل الجديد من أبناء الأسرة على العمل السياسي في البلاد...حتى يخلق الصف الثاني والثالث.

وفي ثمانينيات القرن الماضي وبإيمانه العميق في صورة العروبة في الخارج فقد تبنى عملاتلفزيونيا أذيع في تلفزيون ال بي بي سي في لندن .

رأيت في الزميل الذي زاملني في رحلة عمل السبعينيات رأيت فيه دماثة الخلق ، وعفه اللسان ، وُرقى التعامل الحضاري ، كان يحرص على مواعيد الاجتماعات حتى وهو في الطائرة كان يتصل بسكرتيرته سهير لتحضر له الأوراق الخاصة باجتماعاتنا وكان يتوجه للاجتماع رأساً من الطائرة إلينا كانت الطاولات تضم رموز ذلك الزمن د.حسن الإبراهيم ، د.عبد الله الرفاعي ، م.جواد المزيدي ، زهير الكرمي ، إبراهيم العبد الرزاق وغيرهم من عباقرة الاقتصاد والاجتماع والسياسة الكثير...

"ولن أنسى ثقته بي فعند توجهه لدمشق لشراء مبنى المعاقين كان ذلك مساءً فوجئت في مكتبه بالسكرتيرة سهير تسلمني خمسة وثلاثين ألف دينار نقداً خفت أن تقع الطائرة بي ويذهب المبلغ فرجوتهم عمل شيك وكانت البنوك مقفله فتم الاتصال بشركة المزيدي التي عملت الشيك الذي حملته معي وتم شراء المقر ."

كما انني لن أنسى يوم جاء خصيصاً وقد خرج من إجتماع في الكويت وتوجه فوراً لحضور افتتاح أول مشروع للمعاقين في دولة الإمارات عام 1979 ولم يتناول أي شىء حتى المساء المتأخر .

وعندما أردنا فسحة من الأمل لمجلة الربيع العربي التي أصدرتها خصيصاً في لندن في ثمانينيات القرن الماضي جئت إليه طالبة منه التوجه معي لوزير الإعلام ففوجئت عندما دخلت لسكرتارية الوزير أن الشيخ ناصر صباح الأحمد جالس في السكرتارية وقد وصل قبلي لانتظار موعد دخولنا للوزير وعند خروجنا من هذا الوزير أسفت أشد الأسف على أنني طلبت منه الحضور والعناء إذ إن نتائج مقابلة هذا الوزير كانت سلبية تماماً وكان الحزن مرتسماً على وجهه وأنا أصعد معه الأسانسير وقد كنت متألماً لألمه ...

كان الوردة الجميلة ذات الرائحة العظرية المميزة في سبعينات القرن الماضي دعمني كثيراً وقف إلى جانبي تعمقت الزمالة بيننا - وكما هي الحياة في حلوها ومرها ..صعودها ..ونزولها ظل ناصر على الثبات معي - كان ثابت المبادئ .قوي الإيمان ، عميق الثقة .

في منتصف ثمانينيات القرن الماضي باعدت بيننا السنوات حتى قمت بزيارة صاحب السمو الأمير الشيخ جابر الأحمد الصباح في ليلة رمضانية بديوان البابطين في الفيحاء ، كان هذا في شهر مارس 1991 وكانت الكويت تبكي دخان أسود لفها وشهداء بذلوا دماءهم في سبيلها ، واحتلال ظالم مسح البسمة من شفاه الجميع ..ما إن دخل سموه وكان الشيخ ناصر في معيته وما إن لمحني حتى تقدم إلي وسلّم علي ثم عاد لمجلس الأمير وقد كنت في جانب من القاعة قبل الأمير لنسلم عليه تباعا ..رأيت الحزن يكسو وجهه والألم يعتصر القلب الرحيم الذي عرفته قلب ناصر ..وكان الأمير أيضا متألما مما حصل كنا جميعا في هذه اللحظات نخترن الحزن .

عندما كنت مريضة في لندن تفاجأت بكتاب شابة من جيل جديد ، جيل لم يعيش حياتنا ولكنه قرأها في صفحات التاريخ ، تفاجأت بكتاب عني "فارسة على جواد الزمن " وبه مقدمة للشيخ ناصر .مقدمه اختصرت تاريخه كله ..هكذا كان وفاءه ..بل زاد على ذلك بمتابعته لإنجاز الكتاب .

وفي صيف عام 2004 قابلته وكانت المقابلة في قصر السيف هذا القصر الذي شهدني شابة أقابل أمراء الكويت من الشيخ صباح السالم للشيخ جابر الأحمد في سبعينيات القرن الماضي .

كان الشيخ ناصر هو هو بدمائة الخلق وقوة الفكر ، حدّثني عن أحلامه لكويت تستعيد حياتها التجارية كما كان الآباء في ذهابهم لأفريقيا والهند كويت تستقطب شبابها كويت تتواصل بخطوط تجارية ممتدة من الصين وقد طرحت أمامه مشاكل ابناء الكويت مع القروض العقارية والعوامل النفسية المحيطة بهم تجاه ذلك .

في صيف 2005 قابلته ثانية واستعدنا الماضي وجلساتنا معاً وقد ذكرت أمامه وأمام هند أسماء الرجال الذين كانوا شباباً ويترددون على مكتبه في شرق في سبعينيات القرن الماضي ، وها هم الآن يتبؤون المراكز وهم من أبناء الشعب لقد استفادوا من فكر هذا الرجل وتغذوا من روحه ، وتفاجأت بأنه لم ينسى ما طرحته من مشاكل أبناء الكويت ، مع القروض إذ إنه أخذ يستشير نخبة من ابناء الكويت الاقصاديين.

إن معرفتي بناصر صباح الأحمد مصدر سعادة وفخر وهذه شهادة بسيطة مني لرجل عرفته عبر سنوات حياتي في مدها وجزرها في سعادتها وحزنها في لحظات انتصارها وإحباطها هو ..هو لم تتغير أصالته ..دمائة خلقه .قيمته ..وفاءه..

نورية السداني

كتاب - A True Story

اربعون عاما من التاريخ - الخليجي والعربي والدولي



